محطات الوجع عند السياب

دراسة نفسية في شعره

د. هاتو حميد حسن

المقدمة:

قبل الشروع في كتابة البحث، لا أريد أن أعيد أو أكرر ما قاله الدارسون عن المرأة في الشعر العربي، فدوران هذا الاسم، أصبح شِرعة عند الكثيرين[1].

بيد أني سأتناول الموضوع من زاوية أخرى، أرى انها جديرة بالدراسة، اخترت لها عنواناً هو (محطات الوجع عند السياب، دراسة نفسية في شعره) لا أقصد بالوجع الحالة الجسمية وما يطرأ عليها من تغيرات فسيولوجية، إنما سأركز على الحالة السايكولوجية للشاعر، وانعكاسها على شعره، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت السياب وشعره، تظل قاصرة فحياة الشاعر ما زال فيها محطات معتمة لم يكشف النقاب عنها بعد، وربما يلتقي معظم الشعراء في هذا الجانب، يعانون في حياتهم من إسقاطات ليست واضحة المعالم والكثير منهم لا يرغبون التصريح بها لأسباب مختلفة.

سنحاول في هذه الوريقات الاقتراب من تلك المحطات للوصول إلى الحقيقة.

وراء اختياري لهذا الموضوع سببان هما: الأول / فكرته جديدة. والثاني / ما كان يعانيه الشاعر من جوانب نفسية داخل وخارج أسرته وانعكاسها على شعره.

قوام البحث محوران رئيسان هما: -

الأول / عذابات السياب داخل أسرته.

الثاني / عذابات السياب خارج أسرته.

وما زالت آثار الشاعر محط أنظار الدارسين العرب وغيرهم، يفخر بها كل مثقف يحب التجديد في الشعر العربي الحديث.

---

(١) راجع أدب المرأة العراقية، بدوي احمد طبانه، دار العلم - القاهرة - ١٩٤٨.
و المرأة في الشعر الجاهلي وعلي الهاشمي – ط١ – بغداد – ١٩٦٠.
و صورة المرأة في الأدب العربي – د. داود سلوم – حلقة دراسية – بغداد – ١٩٧٨.
و الغزل، لجنة من الأدباء العرب، دار المعارف – القاهرة – لات.
و المرأة في شعر السياب، فرح غانم صالح – دار الشؤون الثقافية – ط١ – بغداد – ٢٠٠٨.

http://abu.edu.iq

المحور الأول / عذابات السياب داخل أسرته:

ولد السياب عام ١٩٢٦ في قرية شبه ريفية، تسمى (جيكور) وهي قرية تابعة إلى أبي الخصيب الذي يقع إلى الجنوب من محافظة البصرة.

و(جيكور) تتميز عن غيرها من القرى بكثرة الأنهر والبساتين والطبيعة الساحرة وبساطة الحياة فيها.[٢]

تذكر المصادر التاريخية، أن السياب نشأ وعاش في (جيكور)[٣] منذ بداية حياته، وكانت طفولته سعيدة وعلاقاته طيبة مع أقرانه في البيت وخارجه[٤].

تعلق الشاعر لأول مرة بوالدته، أحبته ورعته رعاية خاصة واعتزت به أمام الآخرين لفطنته وذكائه، بيد أن هذه السعادة والهناء لم تدم طويلاً، سرعان ما خطفت يد المنون والدته وهو في الرابعة من عمره، إذ وافاها الأجل وهي في ريعان الشباب عام ١٩٣٢م.

تعرض السياب إلى صدمة عنيفة هزت كيانه وعصفت به، وأحدثت شرخاً كبيراً في حياته، سببت له أضطراباً انفعالياً حاداً ويمكن اكتشاف ذلك من مضمون الرسالة التي بعثها إلى صديقه خالد الشواف[*] يشكو فيها حرمانه جاء فيها: (حرمت عاطفة الأمومة وأنا ابن أربع...)[٥].

ذهب علماء النفس إلى أن يحدث تغيرات عند الفرد تغير في شخصيته ونموه وإسقاطات أخرى يظل يعاني منها طيلة حياته. وفقدان الأم يسبب الكبت النفسي أي شعور الفرد أنه فقد شيئاً ويمكن تعويضه عن طريق استرجاع الصور بين الحين والآخر، وفعلاً استذكر بدر ملاكه المفقود وحبيبته الغالية التي ضمته إلى صدرها الدافئ، وراح يخاطبها قائلاً:

ويسألون الليل عنك وهم لعودتك في انتظار ؟
الباب تقرعه الرياح لعل روحاً منك زار
هذا الغريب !! هو ابنك السهران يحرقه الحنين[٦]

أماه ليتك ترجعين

ونتيجة لهذا الكبت، عاد إلى نفسه فاستذكر ذلك الوجه البهي والدته مرة أخرى وكتب قصيدة جسد فيها لوعته وحنينه إلى قنديله المجهول فقال:

وتدعو من القبر أمي بنّي احتضني فبرد الردى في عروقي
فدفء عظامي ربما قد كسوت ذراعك والصدر احم الجراح
جراحي بقلبك أو مقليتك ولا تحرمن الخطى عن طريقي[٧]

لم يستطع السيطرة على هذا الجرح الغائر في أعماقه، وشعر بمرارة الفراق وكلما ضغط على أحاسيسه، هاجت تداعيات عاطفته، لذا راح يحث خطى أحزانه ووقف على قبر والدته وخاطبه قائلاً:

فيا قبرها افتح ذراعيك
أني لآت بلا ضجة دون آه ![٨]

---

(٢) معجم الشعراء العراقيين د. جعفر صادق ج٢ – نجف – ٢٠٠٨: ٥٨.
(٣) المرأة في شعر السياب، فرح غانم صالح – ط١ – بغداد – ٢٠٠٨: ٩.
(٤) بدر شاكر السياب، الأعمال الكاملة – دار الحرية – بغداد – ٢٠٠٠: ٣٨٧.
(*) خالد الشواف، شاعر عراقي ولد في بغداد ١٩٢٤، راجع شعراء عراقيون، منذر الجبوري – ط١ – بغداد – الات: ٢١.
(٥) بدر شاكر السياب، عيسى بلاطه، ط٤ – دار الشؤون – بغداد – ١٩٧١: ٢١٨، ١٤٢.
(٦) بدر شاكر السياب حياته وشعره: ٢١٨.
(٧) م.ن، الآثار الشعرية الكاملة: ٤٦.
(٨) بدر شاكر السياب، الآثار الشعرية الكاملة: ٤٦.

http://abu.edu.iq

تتزاحم الذكريات وتمر بخاطره فكلما اختلى مع نفسه، وكأنه يبحث عن شيء مفقود، قلب صفحات الأيام لعله يعثر على ابتسامة أمه التي لم ينس إطلالتها كل صباح، وكلما حجم من هواجسه، ثار بركان بؤسه واكتوى بحسرة أنفاسه قائلاً:

أمـــاه ليتـــك لم تغـــيبي خلـــف ســـور مـــن حجـــار
لا بـــاب فيـــه لكـــي أدق ولا نوافـــذ في الجـــدار !
كيـــف انطلقـــت علـــى طريـــق لا يعـــود الـــسائرون[٩]
مـــن ظلمـــة صـــفراء فيـــه كأنهـــا غـــسق البحـــار

وعن غدر الدهر الذي أنشب أظفاره في حياته، لم ينس صورة ذلك الوجه وتلك الرقة التي تفوح شذا، تذكرها في قصيدة (سهر) فقال:

لقـــد رضـــعوا مـــن الثـــدي الـــذي لم تبلـــه الأجيـــال
ونـــاموا في حمـــى الأم الـــتي لا يـــستوي الأطفـــال
ولا الأشـــياء إلا في حماهـــا في حمـــى تـــرب وظلمـــاء[١٠].

وظلت صورتها ترافق ظله أينما ذهب، وكلما مرت عليه ملامح أمه بين النساء تستقر لوعته ولم يتوقف هذا الشريط المأساوي في حياته واستنجد بماضيه قائلاً:

أفيـــــــاء جيكـــــــور أهواهـــــــا
كأنهـــا انـــسرحت مـــن قبرهـــا البـــالي
مـــن قـــبر أمـــي الـــتي صـــارت اضـــالعها التعبـــى وعيناهـــا
مـــــن أرض جيكـــــور ترعـــــاني وأرعاهـــــا[١١]

وسرعان ما اكتشف نوايا والده، قرر الزواج من امرأة أخرى، اكتملت دائرة الأحزان، وتكسر سلم الأمل، إذ لا أم تحنو عليه ولا أب يرعاه فكان معترضاً على هذا القرار، ضاق صدره، ولم ير أباه منذ ذلك الحين، ظل شبح الإهمال المخيف يطارده أينما اتجه وكل ما قاله:

أبـــي منـــه قـــد جـــردتني النـــساء وأمـــي طواهـــا الـــردى المعجـــل
ومـــالي مـــن الـــدهر إلا رضـــاك فرحمـــاك فالـــدهر لا يعـــدل[١٢]

وهنا شعر انه مهمل كما يهمل الطفل في بعض الأحيان وسط أسرته فأصيب بالإحباط النفسي الحاد. واصل دراسته الابتدائية في مدرسة (المحمودية) في أبي الخصيب وتخرج منها عام ١٩٣٨[١٣]. غير أن الأجواء ما عادت ملائمة له إذ رأى وجهاً عبوساً آخر لا يشبه وجهه ملاكه مما اضطره الهروب من البيت. لم يشعر بالراحة والاطمئنان النفسي، ظل قلقاً لا يعرف مصيره لولا تدخل جدته في الوقت المناسب إذ انتشلته من هذا الضياع وأنقذته من واقعه المتردي، غير أن الدهر ما زال يطارده خطف جدته وعاد إلى مأساته وكل ما فعله هو الوفاء، رثاها في الأبيات الآتية:

جـــدتي مـــن أبـــث بعـــدك شـــكوا ي ؟ طـــواني الأســـى وقـــلّ معـــيني

---

(٩) م. ن، الآثار الشعرية الكاملة: ١٤٤.
(١٠) م.ن، الآثار الشعرية الكاملة: ٣٢١.
(١١) بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة: ١٢٣.
(١٢) م. ن، ج١- ٢ – ناجي علوش – دار العودة – بيروت - ١٩٧١: ١٤.
(١٣) م. ن – دراسة فنية – حسن توفيق – ط١ – بيروت – ٤٨: ١٩٧٩.

http://abu.edu.iq

أنـت يـا مـن فتحـت قلبـك بالأمـ ـس لحـبي أوصـدت قـبرك دونـي
فقليـل علـيّ أن اذرف الدمـ ـع ويقـضي علـيّ طـول أنـيني[١٤]

ومع كل تلك الظروف الهادئة نسبياً، لم ينس جرح نفسه الذي ما زال طرياً. راح يستفيد ويسترجع ترحاب والدته وشفافية ابتسامتها وصدرها الحاني، وبفقدان جدته وزواج أبيه المتسرع، زاد همه وانطوى على نفسه والانطواء على النفس مرض نفسي يعاني منه العامة والخاصة قد يكون شديداً وقد يكون خفيفاً، ومع هذا تمكن السياب من الإفلات من قبضة الإخطبوط القاتل من خلال انخراطه في المدرسة الإعدادية في العشّار وواصل دراسته فيها ومع هذا نظام التعليم الإعدادي هو الآخر لا يسمح باختلاط الجنسين فللذكور مدارسهم وللإناث مدارسهن، ولم تسنح الفرص التعرف على الجنس الآخر غير أن جذوة الميل إلى النساء بدأت بالتطور وهي بداية عابرة مع (هويله) وهذه راعية غنم تكبره سناً غير أنها كانت جميلة شاهدها السياب وأعجب بفتنتها ووصفها قائلاً:

تـذكرت سـرب الراعيـات علـى الربـا وبـين المراعـي في الريـاض الزواهـر
ورنـات أجـراس القطيـع كأنهـا تنهـد أقـداح علـى ثغـر شـاعر
أقـود قطيعـي خلفهـم محـاذراً وانظـر عـن نحـو فيحـسر نـاظري[١٥]

ثم أردفها بقصيدة أخرى بعنوان (أغنية الراعي) وتألم لمرضها[١٦]. وهذه القصائد إنما هي نزوة عابرة ليس إلا ثم جاء دور (وفيقه) وله صلة بها، كانت شابة جميلة أحبها حباً عذرياً غير انه حزن لزواجها، وظل خيال ابنة الجلبي معلقاً في ذاكرته لأنه يشاهدها كل صباح عند ذهابه إلى المدرسة وكناها بـ (هند) [١٧].

لا نريد أن نطيل الكلام فالشاعر أراد أن يعزز من أساليب لقاءاته غير انه لم يحصل على شيء، إذ ظل فؤاده متعلقاً بوالدته في كل حين.

وبعد أن استمر في غربته في الخارج، زاد همه وماساته، لا سيما تنقله من مستشفى إلى آخر، ساءت صحته أكثر، إذ لا يمكن السيطرة على مرضه.

أما زوجته هي الأخرى أصابها نوع من الإحباط فكانت تعاني من مرض زوجها كل ذلك انعكس على حياتها، وعلى الرغم من ملازمة زوجها داخل وخارج العراق، صبرت وتحملت وكان صبرها جميلاً فهي ليست غريبة عنه وأوصاها بما يأتي:

إقبـــال يـــا زوجـــتي الحبيبـــة
لا تعـــذليني مـــا المنايـــا بيـــدي
ولـــست، لـــو نجـــوت بالمخلـــدِ
كـــوني لغـــيلان رضـــى وطيبـــة
كـــوني لـــه أبـــاً وأمـــاً وارحمـــي نحيبـــه[١٨].

لا يمكن للإنسان تحمل المواقف المؤثرة وهذا ما يفسر عدم القدرة على السيطرة على توجيهات الفرد لا سيما عند حالات المرض. ولا نهوض بعد فاجعة الموت. والأبيات الآتية توضح هذا المفهوم:

أيهـــا الـــثلج رحمـــاك، إنـــي غريـــب

(١٤) م. ن: دراسة فنية – حسن توفيق – ط١ – بيروت – ٧٣: ١٩٧٩.
(١٥) م. ن: الأعمال الشعرية الكاملة: ٤٣٣.
(١٦) رسائل السياب – ماجد السامرائي – بيروت – ١٩٧٥: ٢٠.
(١٧) بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ٥٢.
(١٨) إقبال زوجة الشاعر، واسمها إقبال طه عبد الجليل، خريجة دار المعلمات في البصرة، راجع رسائل السياب، ماجد السامرائي – بيروت في ١٥٢: ١٩٧٥.

http://abu.edu.iq

في بـــلاد مـــن الـــبرد والجـــوع ســـكرى
إن لـــي منـــزلاً في العـــراق الحبيـــب
حبيـــبتي فيـــه تعلـــك صـــخرا[19]
آه، لـــولاك يـــا داء مـــا عفـــت داري

وأخيراً توقف قلب بدر عام ١٩٦٤ في الكويت.

وصف الناقد جبرا إبراهيم جبرا حياة الشاعر داخل أسرته انه عاش مأساة درامية كبيرة. ما زلنا نتذكر فصولها كلما غادرت أسراب الطيور الجنوبية.

أن الهزات النفسية عند الأفراد، تولد شحنات ذاتية خفية لا يمكن التصدي لها، لذا لجأ السياب التعبير عنها وإفراغها في فنه الشعري.

مما تقدم يتضح، أن الأحداث التي عاشها الشاعر داخل أسرته ليست أحداثاً عابرة إنما هي مؤثرة لا يمكن تجاوزها، وظل اليأس يحفر في أنفاسه حتى الرمق الأخير.

إن كثرة الأمواج النفسية المتصارعة تترك بصماتها على حياة الإنسان وحينما تتزايد شراستها تولد شحنات قاسية لا يمكن الوقوف أمامها وهذا ما حدث لبدر.

أما معاناته الذاتية وحبه وشوقه وميله إلى النساء إنما هي بدايات لخوض غريزة النفس البشرية وميلها الطبيعي إلى الجنس الآخر وهذه ولدت فورات مؤثرة ظلت تغلي داخل النفس وهذا ما كان يعانيه السياب في تجاربه العاطفية الأولى وهي تجارب عفوية ظلت خيوطها معلقة في ذاكرته.

المحور الثاني / عذابات السياب خارج أسرته:

الانطلاقة الجديدة في حياة بدر، انتقاله إلى العاصمة بغداد وإكمال دراسته في دار المعلمين العالية، ومدينة بغداد تختلف عن محافظة البصرة من حيث السعة والحداثة وتوفر فرص اللهو، إنها بيئة غريبة عنه تحتاج إلى وقت للتكيف عليها، وأجواء دار المعلمين غير مألوفة عند بدر، فالتعليم فيها مختلط[20] وهو قريب من التعليم الجامعي اليوم.

الشيء اللافت للنظر، ان دار المعلمين في كل عام تنظم مهرجانات ومواسم ثقافية وأدبية لطلبتها، هذه الأجواء استقطبت اهتمام الشاعر واسهم فيها بشكل مباشر، وفتحت أمامه أضواء الشهرة، ربما هذه الأنشطة والممارسات الجديدة أسهمت إلى حد ما في نسيان الماضي، والنسيان قد يكون مفيداً وقد يكون ضاراً في أحيان أخرى فاستثمار الفرص وعقد اللقاءات الاجتماعية لعلها خففت بعضاً من معاناته وهذا ما فعله حقيقة ومكان اللقاء الأول مع طالبة تكبره سناً في الصف المنتهي اسمها (لبيبة).

تعرف عليها الشاعر من خلال الأنشطة تلك، شاركت (لبيبة) الشاعر في أوقاته وكانت تحبه وترحب به وتبتسم له، وشدها إليه أكثر أناقتها وجمالها المفرط وكان هناك نوعاً من الحرية في ارتداء الملابس واختيار الألوان غير أن التبرج ممنوع.

والمعروف عن الطالبات يتنافسن في المظهر الخارجي والاهتمام به، جذبت (لبيبة) بدراً وقويت العلاقة بينهما حتى إن الشاعر سماها (ذات المنديل الأحمر) يبدو أنها ترتدي منديلاً أو وشاحاً بهذا اللون وأشار إليها في بعض قصائده قائلاً:

(١٩) بدر شاكر السياب – الأعمال الكاملة – دار الحرية – ط٣ – بغداد – ١٣٦ : ٢٠٠٠.
(٢٠) بدر شاكر السياب – دار الحرية – بغداد – ٢٠٠٠ : ٣٨٥.

http://abu.edu.iq

وتلـك... لأنهـا مـن العمـر اكـبر، أم لأن الحـسن أغراهـا
بـأني غـير كـف خلفـتني كلمـا شـرب النـدى ورق
وفـتح بـرعم مقلتهـا وشممـت ريّاهـا ؟
وأمـس رأيتهـا في موقـف للبـاص تنتظـر
فباعـدت الخطى، ونأيـت عنهـا، لا أريـد القـرب منهـا[٢١]

لا ندري لماذا هذا النأي والعزوف عنها ؟ ربما لموقف حدث بينهما لم يذكره الشاعر في هذه الأبيات غير أن الإشارة واضحة.

تخرجت (لبيبة) ولم يعرف مصيرها، وانقطعت العلاقة بينهما[٢٢]، لم تترك بصمة واضحة في حياة الشاعر إنها مجرد صداقة عابرة.

نظم الشاعر ثلاث قصائد في ذات المنديل الأحمر وكلها على نغمة ومعنى واحد. هي (أغرودة، سأرها غداً، وخيالك) ومطلع هذه القصائد هي:

كفـى طرفـك اليـوم إن غـرِدا بقلـب جفـا الحـب واسـتكبرا
أراهـا غـداً، هـل أراهـا غـداً ؟ وأنـسى النـوم أم يحـول الـردى
لظلـك لـو يعلـم الجـدول علـى العـذب مـن مائـه منـزل[٢٣]

لم تمض مدة من العزلة والابتعاد عن الأضواء عاود علاقته وتعرف على طالبة جديدة اسمها (ديزي الأمير) وهذه شاعرة، وصفها بالاقحوانة لشفافية رقتها ثم تركها السياب لعدم جدوى العلاقة معها ولعل السبب المباشر في إنهاء العلاقة، اختلاف العادات والتقاليد بينهما، غير انه تأثر لوفاتها[٢٤] فيما بعد.

عاد بدر لنفسه واستذكر ذات المنديل الأحمر ولقصر مدة العلاقة معها، ما زالت في خاطره وظل طيفها يراوده في جميع الأوقات قائلاً:

مـشى العمـر مـا بيننـا فاصـلاً فمـن لـي بـأن أسـبق الموعـدا[٢٥]
ولكنـه الحـبُّ منـه الزمـان ثـوان، ومـا احتـواه المـدى
أراهـا فـانفض عنهـا السـنين كمـا تـنفض الـريح بـرد النـدى

حاول السياب أن يجرب حظه مرة أخرى، فتعرف على الهوى البكر (لمعان البكري) وهذه ذات أساليب شيطانية في المراوغة، لم يكشفها بدر في بداية الأمر، وكانت تهدف من وراء سماع قصائد الشاعر إرضاء لغرورها، ثم أحس إنها لا توده فتركها.

وفي تجمع طلابي انجذب إلى ذات الصوت الطروب (اليس) وهذه مسيحية الديانة تشير المصادر إلى أن السياب أعجب بها وحاول التقرب منها، غير إنها عاملته بأسلوب جاف يختلف عن مثيلاتها، كانت ثقيلة في تصرفاتها حتى في ابتسامتها، ويرى بدر انها لو تبسمت لحولت حياته إلى نعيم كما صرح في الأبيات الآتية:

تـأبى الـيس علـيّ أن تبتـسما فـترد قلـبي هانئـاً منعمـا
يا صوتها الطروب الحنون ولا أدري إنـي سمعـت أرق منـه وأرخمـا

(٢١)بدر شاكر السياب – دار الحرية – بغداد – ٢٠٠٠ : ٣٣٣.
(٢٢) ديوان الشعر العربي في القرن العشرين – راضي صندوق – ج١ – ط١ – بيروت – ١٩٩٤ : ٣٤٣.
(٢٣) بدر شاكر السياب – دار العودة: ٤٢٠- ٤٢٤- ٤٩٤.
(٢٤) رسائل السياب – ماجد السامرائي – ط١ – بيروت – ١٩٧٥ :
(٢٥) بدر شاكر السياب: الأعمال الكاملة: ٤٣.

http://abu.edu.iq

لـو عاشـق دنـف سـواي أحبهـا مثلي تركت لـه الهـوى فتنعمـا[٢٦]

لم يتوقف اندفاع السياب نحو المرأة إنما ظل يحوم في ميدانها، تعرف على طالبة اسمها (مادلين) وهذه[٢٧] لها ميول شعرية غير أنها يهودية الديانة. بعد أن عرف ديانتها قطع علاقته بها.

آما علاقته بالكاتبة البلجيكية (لوك نوران) والممرضة (ليلى) جاءت مصادفة، فالأولى جاءت إلى لبنان وترجمت بعض أشعاره، غير أن فتنتها هي التي جذبت بدراً إليها، وليلى ممرضة تعمل في المستشفى وهي ملاك في الحسن والرشاقة، أراد أن يتزوجها فعلاً غير أن حضور زوجته إلى المستشفى افسد عليه كل شيء[٢٨].

هناك نقطتان مهمتان هما:ـ

الأولى: إن تعدد التجارب العاطفية عادة ما يكون فاشلاً لأنها لا أساس متين لها والميل إلى هذه أو تلك يأتي من باب الإعجاب، وهذا ما يحصل عادة في المجتمعات الطلابية.

والثانية: تعدد الأساليب النسوية تجاه الرجال كثيرة فيها ما يجذب عن قصد لغرض قضاء الوقت وإمتاع النفس واللهو الفارغ ومنها ما لا يجذب وهذه قد تكون ارحم من الأولى من حيث الخطورة وسرعان ما تصاب الأساليب الخبيثة بخيبة أمل وتفشل هي الأخرى.

ومسلسل التعامل مع المرأة ما زال يعرض أمام بدر، غير أن القناة هذه المرة توقفت عن محطة (لميعة)[*] التي أطلق عليها (الإمبراطورة) وهناك مشتركات واختلافات بينهما، المشتركات الشعر فكلاهما شاعر وهما من المنطقة الجنوبية وينتميان[٢٩] إلى الحزب الشيوعي العراقي، فبرنامجهما واحد، وهذا يتطلب تعدد اللقاءات حتى أنه دعاها لزيارة قريته (جيكور) ولبت الدعوة.

والاختلافات إن لميعة من عائلة برجوازية كبيرة وبدر من عائلة متوسطة الحال، وهي صابئيه الديانة وبدر مسلم وإنها جميلة جداً وبدر لا يتمتع بهذه الصفة لم يكن وسيماً ومن باب الطرفة وفي يوم المقابلة في الدار شاهدته طالبة اسمها (نهاد) راحت تتهامس مع زميلاتها وقالت لإحداهن انظروا هذا طالب من الصين[٣٠]. فأجابها:

جئـت مـن أقـصى الـبلاد كـي أرى وجـه نهـاد[٣١].

وانقطعت العلاقة بينهما غير إنهما استمرا في نظم الشعر.

وأشار إلى هذه العلاقة في بعض قصائده منها:

سأهواك حتى تجف الادمع في عيني وتنهار أضلعي الواهية[٣٢].

وقال:

ذكرتك يا لميعة والدجى ثلج وأمطار[٣٣]

---

(٢٦) م. ن: ٤٨

(٢٧) شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ١٣٨- ١٤٦.

28 بدر شاكر السياب – حياته وشعره – عيسى بلاطة: ١٣٦.

(*) لعلها الشاعرة لميعة عباس عمارة، ولدت عام ١٩٢٩ في بغداد، راجع شعراء عراقيون: ١٣٤.

(٢٩) شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ١٤٨.

(٣٠)شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ٥٦ – ٥٧.

(٣١) شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ١٤٨.

(٣٢) بدر شاكر السياب – الأعمال الشعرية: ٨٥.

(٣٣) م. ن: ٨٠.

http://abu.edu.iq

وبعد أن فشل في جميع تجاربه العاطفية لجا إلى العمل السياسي وهو هروب واضح من واقعه المتردي وتراجع النمو العاطفي عنده ومشى في طريق لا يعرف أين نهايته؟ انظم إلى الحزب الشيوعي عام ١٩٤٦ وربما قبل ذلك، أراد بذلك أن يحقق أمرين هما: -

أولاً: نسيان الماضي ومآسيه.

ثانياً: التعويض عن فرص جديدة لجذب الأنظار إليه لأنه يحب الشهرة. فتعرض إلى مواقف قاسية أنسته حياته، عذب وفصل وتوقف وطرد إلى غير ذلك من نتائج العمل السياسي، يصف المرحلة التي عاشها قائلاً:

وعلى الرصيف
جوعان يبحث عن رغيف
والشارع الممتد يزخر بالجموع
من ثائرين مزمجرين
فليسقط المستعمرون
يا... يسقط المستعمرون[٣٤]
ودفاعه عن ؟؟؟؟ وتأثره بهم فقال:
من ليس لديه من الجاسوسية جذور
لا يتهم بالتجسس، الناس الواعين
والذي ينبعث منه نتن الخيانة
يفتري على المناضلين إنهم خائنون[٣٥]

وعلى الرغم من خوض تجربة العمل السياسي وتنقله في الوظائف لم تلمس انه مارس الحب الحقيقي إنما هو حب من طرف واحد، حب الحياة، وظل يعاني من الفراغ الاجتماعي.

مما تقدم يتبين أن الشاعر سلك مسلكين تجاه المرأة:

الأول: التصريح بأسماء من عقد معهن علاقة أو صداقة عابرة كما مر في ثنايا البحث.

والثاني: الرمز، أي ما كان يخفي شيئاً في نفسه، فهو يرمز إلى المرأة فقط ورمزه جاء شاملاً لجوانب الحياة عامة. لذلك اعتمد على أسماء وردت في شعره منها عربية وأخرى أجنبية منها (ميدوزا، أوديب، جوكست، افروديت، فاوست، هيلين، تموز، عشتار، ... الخ) وما هذه الأسماء إلا تعبير عن سعة إطلاعه وثقافته وأما تطعيم شعره بهذه الأسماء لدورها التاريخي وربما يقصد بها الإشارة إلى ماضيه.

وأخيراً نقول: إن السياب لم يكتو بنار الحب الحقيقي، إذ لم يخوض تجربة عاطفية صادقة وما مرَّ به مجرد علاقات وصداقات سطحية فرضتها طبيعة العلاقة الثقافية والدراسية. ومثل هذه الصلات عادة ما تكون فاشلة لا تسفر عن شيء انه حب عذري بريء. وجاء التعويض عن طريق عقد الصلات وإقامة العلاقات أو بالعمل السياسي وهذا ما فعله السياب في حياته.

عذابات الشاعر الخارجية لم تتوقف ومحطات الوجع ظلت تراوده في كل لحظة تركت بصماتها على نفسه وانعكست أثارها على شعره فيما بعد.

المصادر

- أدب المرأة العراقية، بدوي احمد طبانه، دار العلم القاهرة - ١٩٤٨.

(٣٤) رسائل السياب – ماجد السامرائي – بيروت – ١٩٧٥: ٨٥.
(٣٥) م. ن: ٦٨.

http://abu.edu.iq

- بدر شاكر السياب – حياته وشعره – عيسى بلاطه – ط١ – دار الشؤون – بغداد – ١٩٧١.
- بدر شاكر السياب – دراسة في حياته وشعره – إحسان عباس – بيروت – ١٩٦٩.
- ديوان بدر شاكر السياب – م١- ٢ – ناجي علوش – دار العودة – بيروت – ١٩٧١.
- ديوان الشعر العربي في القرن العشرين – راضي صندوق – ج١ ط١ – القاهرة – ١٩٩٤.
- رسائل السياب – ماجد السامرائي – دار الطليعة – بيروت – لات.
- السياب – عبد الجبار عباس – دار الشؤون الفنية - بغداد لات.
- شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية – حسن توفيق – الموسوعة العربية – بيروت، ١٩٧٩.
- شعراء عراقيون – منذر الجبوري – ط١ – بغداد لات.
- صورة المرأة في الأدب العربي – د. داود سلوم – حلقة دراسية – بغداد، ١٩٧٨.
- الغزل – لجنة من أدباء العرب – دار المعارف – القاهرة لات .
- المرأة في الشعر الجاهلي – د. علي الهاشمي – ط١ – بغداد، ١٩٦٠.
- المرأة في شعر السياب – فرح صالح – دار الشؤون الفنية – ط١ – بغداد، ٢٠٠٨.
- معجم الشعراء العراقيين – د. جعفر صادق – ج٢ – نجف، ٢٠٠٨.

http://abu.edu.iq